موقف الإمام أبي السعود من القراءات الواردة في تفسيره: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" دراسة وصفية نقدية

دكتور/ صالح بن أحمد العماري
الأستاذ المساعد بقسم القراءات بكلية الدعوة وأصول الدين
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

ملخص البحث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فهذا بحث أعددته لبيان منهج أبي السعود من خلال تفسيره المسمَّى بـــ "بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، تناولت فيه منهجه في تفسيره على وجه العموم، ثم تناولت طريقته التي تعامل بها مع القراءات التي أوردها في تفسيره، وقد بذلت وسعي في بيان موقفه من جوانب متعددة، وقد سلكت في ذلك منهجية الوصف والنقد، وفق أصول البحث العلمي، ثم خلصت في خاتمة البحث إلى نتائج مهمة، راجيا من الله أن أكون قد وُفِّقت في بيان ما عُقِد لأجله البحث، واللهَ أسأل أن ينفع به قارئه، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...آمين.

Thesis Abstract

In the name of Allah, the Gracious, the Merciful.

This research paper was written in order to explain Abu-Suood's methodology in his exegesis of the Quran, I firstly discussed his overall exegetical approach, then i examined his manner in dealing with the qiraa'aat he has mentioned in his exegesis, I have exerted much effort in clarifying his approach from many angles, in order to do so i have compiled and studied his opinions in accordance with research paper guidelines, then i listed the most important results in the conclusion, i hope that Allah has made me successful in clarifying this topic.

All praise and gratitude is to Allah for granting achievement, and may His blessings and salutations be upon His last Messenger Muhammad, his kith, and his companions.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب: ٧١، ٧٠]

أما بعد:

فإن أعظم ما صرفت فيه الأوقات، وفنيت فيه الأعمار،كتاب الله عز وجل، تعلما وتعليما، وبحثا، وتنقيبا، وتدبرا، وتفسيرا.

وإن من العلوم التي اهتم به العلماء سلفا وخلفا، علم التفسير فلقد اهتم العلماء بهذا العلم اهتماما بالغا وصنفوا فيه التصانيف، فمن بين المصنفات التي ألفت في تفسير كلام الله –عز وجل– تفسير الشيخ أبي السعود العمادي مفتي الدولة العثمانية في زمانه، وقد سمّى تفسيره: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم".

وقد ضمَّن تفسيره جملة من القراءات المتواترة والشاذة، وكان له في ذلك منهجية سلكها خلال تفسيره، وقد أعددت هذا البحث لبيان ذلك.

وقد بذلت فيه وسعي وجهدي، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

- أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع من جوانب متعددة، أذكر أهمها وأبرزها:

- يعتبر الحديث عن موقف أبي السعود من القراءات من الأهمية بمكان إذ إن التفاسير قد كثرت وتنوعت، وتعددت مناهج مؤلفيها في التعامل مع القراءات، ولا بد من إظهار ما تميز به كل تفسير عن غيره من التفاسير، حتى يتسنى للباحثين الاستفادة من هذه التفاسير على وجه يحفظ الجهد والوقت.

- معرفة منهج المفسر مع القراءات، والوقوف مع الطريقة التي سلكها مع القراءات، تُكسِب طالب القراءات ملكة تمكنه من التعامل مع القراءات بأسلوب علمي.
- العلم بمنهج المفسر مع القراءات في تفسيره يعطي الباحثين تصورا صحيحا عن جهود المفسر التي بذلها في تفسيره مع القراءات.
- مناهج المفسرين عموما تمثل اتجاهات علماء التفسير من خلال تفاسيرهم، ومن المعلوم اختلافها من مفسر إلى آخر، وعن ذلك نشأت مدارس التفسير المختلفة، فمعرفة موقف المفسر من القراءات –وهو جزء من منهجه العام– في تفسيره ومنهجه في التعامل معها، تسهل على الباحثين معرفة المدرسة التي ينتمي إليها المفسر في هذا الجانب.
- الدراسات السابقة:

تناولت تفسير أبي السعود عدد من الدراسات، وأكثرها متعلقة بمنهجه في تفسيره على سبيل العموم، ومنها:

١. أبو السعود ومنهجه في التفسير تأليف : عبد الستار فاضل خضر ، رسالة ماجستير في جامعة بغداد ١٩٨٨م.
٢. العالم التركي الكبير شيخ الإسلام أبو السعود وأسلوبه في التفسير، عبد الله آي دمير، قونيا: جامعة سلجوق ١٩٦٨م، رسالة قبول في هيئة التعليم.
٣. أبو السعود ومنهجه في تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تأليف: بابكر البلولة محمد، ١٩٨٩م، رسالة ماجستير في جامعة أم درمان الإسلامية – كلية أصول الدين – التفسير وعلوم القرآن.

وقد حاولت أن أقف على شيء من هذه الدراسات، لأقف على شيء مما كتبوه عن موقف أبي السعود من القراءات، ولكنني لم أظفر منها بشيء، وبالنظر إلى عناوينها يظهر أنها تناولت منهج أبي السعود في التفسير على وجه العموم.

وهناك كتب ألفت في بيان مناهج المفسرين، وهي كثيرة والذي وقفت عليه منها كتاب الذهبي "التفسير والمفسرون"، تكلم فيه عن منهج أبي السعود في تفسيره من عدة جوانب، سلك في ذلك مسلك الإجمال، خصوصا فيما يتعلق بموقفه من القراءات، حيث قال عنه: "يعرض لذكر القراءات، ولكن بقدر ما يوضح المعنى، ولا يتوسع كما يتوسع

غيره"[1]، وقوله هذا كما لا يخفى قول مجمل، إذ إن الكلام في موقفه من القراءات يحتاج إلى تفصيل أكثر، مع التمثيل لكل موقف من مواقفه.

ثم ظفرت بدراسة لأحد الباحثين، وهو الدكتور العربي شاوش، كتب بحثا سماه: "تفسير أبي السعود: طريقته في العمل بالرواية، ومنهجه في توظيف القراءات القرآنية"، بحث نشر بمجلة دار الحديث الحسنية بالمغرب، العدد الخامس عشر، عام ١٤١٩هـ.

وبعد اطلاعي على هذا البحث وجدته مركزا على الجانب اللغوي وتأثيره على موقفه من القراءات، ولم يغفل الجوانب الأخرى بالكلية، ولكنه تعرض لها على وجه الإجمال، وسأذكر المفارقات بين بحث الدكتور، وبين البحث الذي أعددته، وأجعل ذلك في النقاط التالية:

- عقدت مبحثا عن القراءات التي أوردها أبو السعود في تفسيره على طريقة أوسع مما ذكرها الدكتور في بحثه، وذلك بإضافتي لذكر القراءات الشاذة بأنواعها، مع التمثيل لكل نوع مما ذكره أبو السعود في تفسيره.
- عقدت مبحثا عن نسبة القراءات إلى من قرأ بها، على سبيل التفصيل، وذلك لأن الباحث أجمل القول في هذا الجانب، إذ قال[2]: "وإن كان يُسَمِّي، وقليلا ما يفعل".
- ذكرت في بحثي مصادر أبي السعود في إيراده القراءات وتوجيهها، وهذا جانب لم يتعرض له الدكتور العربي في بحثه.
- عند ذكر الباحث لموقف أبي السعود من القراءات المتواترة والشاذة كان تركيزه منصبًّا على الجانب اللغوي، وأغفل جوانب مهمة تعد من مواقفه، ومن ذلك موقفه من القراءات التي لها دلالات عقدية، والقراءات التي لها أثر فقهي، ولذلك ذكرتها عند الحديث عن مواقفه.
- هناك جانب مهم مرتبط بموقف أبي السعود من القراءات أغفله الدكتور العربي في بحثه، ألا وهو موقفه من رسم الكلمات القرآنية، وقد عقدت له مبحثا، في الفصل الثاني من هذا البحث.

---

١ التفسير والمفسرون ١/٣٥٠.

٢ تفسير أبي السعود: طريقته في العمل بالرواية، ومنهجه في توظيف القراءات القرآنية ٢١٨.

- تناولت بعض المواقف التي ذكرها الباحث عن أبي السعود، بأوسع مما ذكر الباحث، ومن ذلك موقفه من القراءات المتواترة والشاذة المختلفة اختلاف لغات، ومن ذلك أيضا موقف أبي السعود من مسألة التفضيل بين القراءات.

- خطة البحث:

جعلت البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وفهارس، على النحو التالي:

المقدمة وتشتمل على:

- أهمية الموضوع.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

التمهيد، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة المؤلِّف، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته.

المطلب الثاني: مولده ونشأته ووفاته.

المطلب الثالث: شيوخه.

المطلب الرابع: تلاميذه.

المطلب الخامس: مؤلفاته.

المبحث الثاني: القراءات وأنواعها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القراءات.

المطلب الثاني: أنواع القراءات.

المبحث الثالث: مدخل إلى تفسير أبي السعود، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عنوان الكتاب، وسبب تأليفه، وموضوعه.

المطلب الثاني: التعريف بمنهج أبي السعود في تفسيره إجمالاً.

الفصل الأول: منهجه في عرض القراءات، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أنواع القراءات التي أوردها في كتابه.

المبحث الثاني: مصادره في إيراد القراءات وتوجيهها.

المبحث الثالث: نسبته القراءات إلى من قرأ بها.

الفصل الثاني: موقف أبي السعود من القراءات الواردة في كتابه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفه من القراءات المتواترة الواردة في كتابه.

المبحث الثاني: موقفه من القراءات الشاذة الواردة في كتابه.

المبحث الثالث: موقفه من رسم الكلمات القرآنية.

الخاتمة وضمنتها النتائج.

الفهارس، وتشتمل على ما يلي:

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس الموضوعات

- منهجي في البحث:

ستكون دراستي لهذا التفسير معتمدة على المنهج الوصفي والنقدي، متبعا في ذلك الخطوات التالية:

- اجتهدت في تقسيم البحث تقسيما منهجيا يوافق عنوان البحث، وما أعدت الدراسة لأجله.
- عند بيان منهج أبي السعود في تفسيره سلكت مسلك الوصف، ثم النقد لما يقرره أبو السعود عند الحاجة إلى نقده، حسب قواعد النقد العلمي.
- تركت الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في البحث.
- كتبت البحث حسب القواعد الإملائية الحديثة، والتزمت بعلامات الترقيم الحديثة وضبطت ما يحتاج إلى ضبط.
- كتابة الآيات والكلمات القرآنية بالرسم العثماني، مع عزو كل آية بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- توثيق المسائل العلمية التي أوردتها في البحث من المصادر الأصلية.
- تذييل البحث بالفهارس العامة التي ذكرتها في خطة البحث.

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة المؤلف.

المبحث الثاني: القراءات وأنواعها.

المبحث الثالث: مدخل إلى تفسير أبي السعود.

المبحث الأول: ترجمة المؤلف.[1]

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته:

هو أحمد[2] بن محمد بن مصطفى الأسكليبي العمادي، وكنيته أبو السعود.

المطلب الثاني: مولده ونشأته ووفاته:

ولد سنة ثمان وتسعين وثمانمائة بقرية قريبة من القسطنطينية، درَس ودرَّس في بلاد متعددة، وتعلم على والده وقرأ عليه كتبا عديدة، توفي بالقسطنطينية في الخامس من جمادى الأولى من سنة اثنين وثمانين وتسعمائة للهجرة، ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

المطلب الثالث: شيوخه:

كان أبرز مشايخه والده، وقد لازمه وقرأ عليه في علوم مختلفة، قرأ عليه حاشية التجريد للشريف الجرجاني بتمامها، وشرح المفتاح للشريف أيضا، قرأه عليه مرتين، وشرح المواقف له أيضا.

وكذلك ذكرت التراجم التي ترجمت له أن من مشايخه الشيخ سعدي جلبي، وقد لازمه زمنا، ولم أجد في التراجم التي رجعت إليها بيانا للعلوم التي درسها عليه.

المطلب الرابع: تلاميذه:[3]

لقد كان أبو السعود مفتيا للدولة العثمانية في زمانه، ولذلك فقد تلقى العلم عنه جمع من طلبة العلم، وكان من أبرز تلاميذه:

---

١ انظر ترجمته في العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم ٤٤٠/١، الأعلام ٥٩/٧، معجم المؤلفين ٣٠١/١١، هدية العارفين ٢٥٣/١.

٢ في أكثر كتب التراجم اسمه محمد، وذكر مؤلف هدية العارفين أن اسمه بعد التحقيق: أحمد.

٣ لم أجد فيما وقفت عليه من التراجم ذكرا لمن أخذ عنه العلم، فرجعت إلى تراجم أهل العلم الذين أدركوه، فوقفت على عدد كبير ممن تلقى العلم منهم على يديه .

- حسين باشا بن رستم المعروف بباشا زاده الرومي.[١]
- مصطفى حسن بن سنان الحسيني.[٢]
- أحمد بن حسن بن عبد المحسن الرومي.[٣]
- عبد القادر بن حاجي المؤيدي.[٤]

وأكتفي بما ذكرته هنا خشية الإطالة.

المطلب الخامس: مؤلفاته:

كان لأبي السعود عدة مشاركات ومؤلفات في فنون متعددة، ومن أبرز كتبه:

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم في تفسير القرآن.
- ثواقب الأنظار في أوائل منار الأنوار في الأصول.[٥]
- حسم الخلاف في المسح على الخفاف.[٦]
- غمرات المليح في أول مباحث قصد العام من التلويح .[٧]
- قانون المعاملات.[٨]
- معاقد الطراز.[٩]
- موقف العقول في وقف المنقول.[١٠]

المبحث الثاني: القراءات وأنواعها.

كانت النفس مترددة في عقد هذا المبحث، وذلك لأن بيان معنى القراءات وأنواعها لأصحاب هذا الفن؛ هو من جملة بيان المعلوم ضرورة، ولا حاجة إلى ذلك، ولكنني رأيت أن أذكر هذا المبحث بإيجاز، وذلك ليكون البحث مرتبطا بعضه ببعض، وليتبين

١ الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٢٤٧/١.

٢ الأعلام ٢٣١/٧.

٣الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٩٨/١.

٤ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٤٣٨/٢.

٥ كشف الظنون ٦٦٥/١.

٦ كشف الظنون ٥٢٩/١.

٧ هدية العارفين ٢٥٤/٢.

٨هدية العارفين ٢٥٤/٢.

٩ هدية العارفين ٢٥٤/٢.

١٠ كشف الظنون ١٩١٠/٢، هدية العارفين ٢٥٤/٢.

المقصود من المصطلحات التي سأذكرها -بإذن الله- عند ذكر أنواع القراءات التي أوردها أبو السعود في تفسيره على وجه دقيق، فأقول وبالله التوفيق:

المطلب الأول: تعريف القراءات:

لقد عرَّف العلماء القراءات بتعريفات متعددة، وأفضل ما وقفت عليه منها هو ما ذكره ابن الجزري بقوله: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزوا لناقله".[١]

المطلب الثاني: أنواع القراءات:

القراءات على نوعين:

- ما كان متواترا صحيح السند، موافقا للعربية، ولرسم أحد المصاحف العثمانية، وهذا النوع يقبل ويُقرأ به، ومثاله القراءات العشر المتواترة، ويُطلق عليها بعض أهل العلم "القراءات المشهورة" كابن الجزري في نشره.[٢]
- ما لم تجتمع فيه شروط القراءات المتواترة، وهو على عدة أقسام:[٣]

- قسم صح سنده، ونقله عن الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف الرسم العثماني، وهذا القسم مقبول ولا يقرأ به، إذ هو في منزلة الأحاديث الصحيحة، مرفوعة كانت أو موقوفة، ومن أمثلة هذا القسم ما رواه البخاري في صحيحه بإسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه في سورة الليل "والذكر والأنثى".[٤]
- قسم نُقل من غير ثقة، وكان إسناده ضعيفا، وهو كثير في كتب الشواذ كما ذكر ابن الجزري ومثَّل له بقراءة ابن السميفع وأبي السمال في "تنحيك" بالحاء المهملة، وكذلك أدخل ابن الجزري في هذا القسم القراءات الموضوعة كالقراءة المنسوبة لأبي حنيفة: "إنما يخشى اللهُ من عباده العلماء".
- ما نقله ثقة، ولا وجه له في العربية، ومن أمثلة ذلك رواية خارجة عن نافع "معائش" بالهمز.

---

١ منجد المقرئين ٤٩.

٢ النشر في القراءات العشر ٢٥/١.

٣ هذا التقسيم هو الذي ارتضاه الإمام مكي في كتابه "الإبانة عن معاني القراءات" ٥٢،٥١/١ ، وكذلك ابن الجزري في نشره ٢٨،٢٧/١، مع زيادة تحرير، وتحقيق، وتمثيل لكل قسم منها.

٤ صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمار رضي الله عنه، رقم الحديث (٣٧٤٢).

- ما وافق العربية، والرسم، ولم ينقل عن أحد، وهذا مردود بإجماع القراء، وهو الذي أشار إليه أبو عمرو ابن العلاء بقوله: "لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قد قرىء به لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا".[1]

المبحث الثالث: مدخل إلى تفسير أبي السعود.

المطلب الأول: عنوان الكتاب وسبب تأليفه وموضوعه:

- عنوان الكتاب:

قد نص الشيخ أبو السعود على اسم كتابه في مقدمة تفسيره وهو "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم"، واشتهر هذا التفسير باسم تفسير أبي السعود.

- سبب تأليفه:

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه في معرض حديثه عن تفاسير المتأخرين، خصوصا ما يتعلق بتفسيري الكشاف وأنوار التنزيل، سبب تأليفه فقال: "ولقد كان في سوابق الأيام، وسوالف الدهور والأعوام، أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما، وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما؛ يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار، أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق، وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق، وأضيف إليهما ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق، وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق.[2]"...

- موضوع الكتاب:

إن الناظر في كتب التفاسير ليجد أنها تصب في قالب واحد وهو بيان معاني كلام الله عز وجل، وقد تنوعت مدارس التفسير، ما بين تفسير بالمأثور وهو قليل، وتفسير بالرأي وهو الأكثر، وقد كان من هذا –أعني التفسير بالرأي– تفسير أبي السعود، فقد جعل كتابه لبيان معاني كلام الله، وكان جل اهتمامه فيه من حيث البلاغة القرآنية، كما أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه، كما أنه ضمن كتابه عددا كبيرا من القراءات المتواترة والشاذة، ولم يغفل منها إلا القليل، ولذلك كانت هذه الدراسة في هذا الشأن.

---

١ السبعة ٤٨/١.

٢ تفسير أبي السعود ٤/١.

المطلب الثاني: التعريف بمنهج أبي السعود في تفسيره إجمالاً.

لا شك أن معرفة منهج المؤلف في كتابه يعطي القارئ ابتداء تصورا صحيحا قبل البدء بالقراءة، مما يجعله يحسن التعامل مع الكتاب المراد قراءته، ولذلك كان هذا المطلب لبيان منهج أبي السعود في تفسيره على سبيل الإجمال، فيما يتعلق بعموم التفسير.

لقد كان للمؤلف في تفسيره طريقة انتهجها خلال بيانه لمعاني كلام الله عز وجل، وهذه الطريقة التي سلكها منها ما ذكره في مقدمة كتابه وهو قليل، ومنها ما ظهر لي عن طريق التتبع والاستقراء، فأبدأ بما ذكره في مقدمة الكتاب، وأجمله في النقاط التالية:

- أشار المؤلف أن تفسيره على منوال تفسير الزمخشري المسمى "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، وتفسير البيضاوي المسمى "أنوار التنزيل وحقائق التأويل".
- كان عمل المؤلف في تفسيره هو صياغة ما وجده في هذين التفسيرين من درر الفوائد فينظمها، وغرر الفرائد فيرتبها، ويضيف إليها ما وجده في كتب التفاسير الأخرى.
- بيّن المؤلف أنه سيسلك في بيانه لمعاني كلام الله عز وجل طريقة التحلية والترصيع بما فتح الله عليه من البلاغة والمعاني والبديع، حسبما يقتضيه مقام الكتاب الرفيع.
- ذكر المؤلف في المقدمة أيضا أنه سيسمي كتابه عند تمامه "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم".

هذا ما ذكره المؤلف من منهجه في مقدمة كتابه، وأما ما ظهر لي عن طريق التتبع والاستقراء فأجمله فيما يلي:

- يهتم المؤلف بالاشتقاق اللغوي لبعض الكلمات، وبأصلها في اللسان العربي، ومن هذه الكلمات: "السفك" [1] و "السَّنَة"[2]، وغيرها كثير، وهذه سمة بارزة في تفسيره.

١تفسير أبي السعود ٨٢/١.

٢ تفسير أبي السعود ١٣٣/١.

- يذكر المؤلف أحيانا الخلاف في المسائل الفقهية، ويستطرد أحيانا، ومن ذلك مسألة البسملة هل تعدُّ آية من الفاتحة أم لا؟[١]، وهل يجهر بها في الصلاة أم لا، فقد ذكر الخلاف في ذلك وعزا الأقوال إلى قائليها، وكثيرا ما يذكر أحكاما ويذكر مذاهب الأئمة أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد رحمهم الله، ويقتصر أحيانا على ذكر مذهب أبي حنيفة والشافعي[٢] ولا يذكر مالك، وأحمد، ويعبر أحيانا عن مذهب أبي حنيفة بقوله "عندنا" [٣] وكقوله: "والطواف واجب عندنا" [٤] وهذا يدل على أنه حنفي المذهب.
- كان المؤلف خلال بيانه لمعاني القرآن، خصوصا عندما يكون الحديث عن الوجه البلاغي، يحمل الآية على أجزل المعاني وأكملها، ولذلك فقد كان ينكر وبشدة أن تحمل بعض المعاني على أوجه ضعيفة في البلاغة[٥]، ولذلك فقد كان حريصا على إبداء الوجه البلاغي، وكثيرا ما يعبر بعد إظهار الوجه البلاغي بقوله "وبهذا تظهر جزالة النظم الكريم"[٦]، وقوله: "وهذا ما تستدعيه جزالة النظم الكريم"[٧]، ويظهر بهذا والله أعلم أن المؤلف يرى أن وجه إعجاز القرآن هو من جهة نظمه وجزالة ألفاظه.
- يأتي المؤلف أحيانا لأساليب بلاغية، فيعرفها، ويشرحها، ويمثل لها بالآيات والأمثلة، حتى يظن القارئ أن هذا كتاب في البلاغة، ومن ذلك عندما تكلم عن أسلوب الالتفات[٨]، والاستعارة.[٩]
- ذكر المؤلف في تفسيره جملة من الإسرائيليات، ولا يتعقبها غالبا بشيء، وقد يتعقبها أحيانا كما في قصة هاروت وماروت، فقد ضعفها ولم يعول عليها.[١٠]

---

١ تفسير أبي السعود ٨/١.
٢ تفسير أبي السعود ٢٣٥/١، ٢٣٦/١، ٢٧٠/١.
٣ تفسير أبي السعود ٢٣٥/١، ٢٣٦/١.
٤تفسير أبي السعود ١٨١/١.
٥تفسير أبي السعود ٤٠/١، ٤٥/١، ٢٤٨/١.
٦ تفسير أبي السعود ١٧٦/١.
٧ تفسير أبي السعود ١١٩/١، ٢٠٨/١، ١٢٣/٣، ١٧/٧.
٨ تفسير أبي السعود ١٦/١.
٩تفسير أبي السعود ٤٩/١.
١٠ تفسير أبي السعود ١٣٨/١.

- يهتم المؤلف بنقد الأقوال المخالفة في المسائل النحوية، ويردها بالحجة والبيان، كرده على الزجاج في كون اسم "لا" النافية للجنس مبني لا معرب[١]، والحق معه.
- ذكر المؤلف في تفسيره عددا كبيرا من الأحاديث، ولا يعزوها إلا ما ندر، والذي يظهر أن المؤلف لم تكن له عناية بمجال الحديث فقد كان يستشهد بالأحاديث الضعيفة كثيرا[٢]، بل والموضوعة أيضا، كما فعل في أحاديث فضائل السور، والتي كان يذكرها في ختام تفسير أكثر السور.
- يسلك المؤلف في بعض المسائل مسلك الترجيح، ويجيب على استدلالات المخالفين[٣]، ويسلك أحيانا مسلك الترجيح ابتداء دون أن يذكر الأقوال المخالفة في المسألة.[٤]
- استفاد المؤلف في مواضع كثيرة من تفسيره، من جهود العلماء قبله، وذكر جملة من أقوالهم مع نسبتها إليهم، ومن ذلك ما نقله عن الواحدي[٥]، وأبي البقاء[٦]، والزمخشري[٧]، وأبي حيان [٨]ومن خلال ما نقله ظهر لي تأثره كثيرا بالواحدي، والزمخشري، وإجلاله لهما، فقد وصف الواحدي بالإمام[٩]، والزمخشري بالعلامة.[١٠]
- استشهد المؤلف كثيرا بالشواهد الشعرية، ويعزوها تارة[١١] ويترك عزوها تارات أخرى.[١٢]

---

١ تفسير أبي السعود ٢٤/١.
٢ تفسير أبي السعود ٨/١، ١٢/١، ٢٨/١، ٢٩/١، ٢١٩/١، ٢٤٩/١.
٣تفسير أبي السعود ٩/١.
٤ تفسير أبي السعود ١٨٧/٦، ١٧/٧.
٥تفسير أبي السعود ٤٥/١، ٦٤/٢.
٦تفسير أبي السعود ١٢٨/١، ٢٣٣/١.
٧ تفسير أبي السعود ٨١/١، ١٨٥/٤.
٨تفسير أبي السعود ١٤٤/٤، ١٨٩/٤.
٩ تفسير أبي السعود ٤٥/١.
١٠تفسير أبي السعود ٨١/١، ١٨٥/٤.
١١تفسير أبي السعود ٥٢/١، ٦٥/١.
١٢ تفسير أبي السعود ١١/١، ٤٨/١، ٥٤/١.

- استفاد المؤلف كثيرا من القراءات في تفسيره، ووظفها لبيان جملة من المعاني، وسيأتي تفصيل ذلك –بإذن الله– في الفصل الأول والثاني من هذه الدراسة.
- كثيرا ما يذكر المؤلف انحرافات بعض الفرق الضالة، كالمعتزلة، والخوارج، والرافضة، ويذكر مستمسكهم، وأدلتهم وينقضها نقضا.[١]
- سلك المؤلف مسلك التأويل في باب الأسماء والصفات، كما فعل في صفة الاستواء[٢]، والرحمة[٣] وغيرها.
- اهتم المؤلف بذكر المباحث المنطقية، وأسهب في ذكرها في جملة من المواضع، حتى يحسب الناظر في تفسير بعض الآيات، أنه يقرأ في كتاب من كتب المنطق لا التفسير، وذلك لكثرة استعمال المصطلحات المنطقية، وكثرة التقسيمات والاعتراضات.[٤]

١ تفسير أبي السعود ١/٣٠، ١/٩٩، ١/٢٧٢، ٢/٢١٧، ٣/٣٥.
٢ تفسير أبي السعود ١/٧٨، ٥/٣.
٣ تفسير أبي السعود ١/١١.
٤ تفسير أبي السعود ٣/٢٩، ٣/٧٧.

الفصل الأول

منهجه في عرض القراءات، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أنواع القراءات التي أوردها في كتابه.

المبحث الثاني: مصادره في إيراد القراءات.

المبحث الثالث: نسبته القراءات إلى من قرأ بها.

المبحث الأول: أنواع القراءات التي أوردها في كتابه.

إن الناظر في تفسير أبي السعود المطلع على القراءات الواردة فيه، ليجد أن أبا السعود قد ضمن تفسيره أنواع القراءات التي سبق بيانها عند الحديث عن القراءات وأنواعها، إلا أنه لم يستوف أفراد كل نوع.

فقد اشتمل تفسيره على القراءات المتواترة ما عدا قراءة خلف العاشر، وكان يطلق عليها في بعض المواضع القراءات المشهورة، ولم يستعمل لفظ التواتر إلا في موضعين.[1]

ولم يستوف أبو السعود كل القراءات المتواترة فقد أغفل كثيرا من القراءات المتواترة، فمنها ما أغفله بالكلية ومن الأمثلة على هذا قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب بالتأنيث في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وغيرها كثير.

ومنها ما أغفله في بعض المواضع، وذكره في مواضع أخرى، كقراءة ابن عامر بالنصب في قول الله عز وجل: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ فقد أغفلها في سورة البقرة، وآل عمران، والأنعام، ثم ذكرها في سورة مريم، وأمثلة هذا النوع كثيرة جدا.

ولم يقتصر أبو السعود على ذكر القراءات الفرشية فحسب، بل ذكر بعض أصول القراءات ومن ذلك قراءة الإبدال في قوله تعالى: ﴿ءَامَنُوا۟ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، ومن ذلك أيضا قراءة الإدغام في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، وغيرها كثير، إلا أنه لم يكن ملتزما بذكر الأصول كلها، وإنما ذكر جملة منها، وفي بعض المواضع دون غيرها.

هذا ما يتعلق بالقراءات المتواترة، وأما القراءات الشاذة فقد احتوى تفسيره على أنواع القراءات الشاذة التي سبق ذكرها في التمهيد، فمن القسم الأول من القراءات الشاذة وهو الذي صح سنده، ونقله عن الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف الرسم

---

١ تفسير أبي السعود ٣/٩٨، ٤/٢٢٩.

العثماني، ما ذكره أبو السعود في سورة البقرة عند بيان معنى الصلاة الوسطى، فذكر قراءة: "وصلاة العصر"[١]، وكذلك ما ذكره في سورة الكهف من قراءة ابن عباس رضي الله عنهما: "يأخذ كل سفينة صالحة غصبا"[٢]، فهاتان القراءتان صحيحتا السند فقد رواهما البخاري ومسلم رحمهما الله في صحيحهما، وكذلك قد صحتا في العربية، إلا أنهما خالفتا الرسم العثماني.

ومن القسم الذي نُقل من غير ثقة، وكان إسناده ضعيفا، ما ذكره أبو السعود من قراءة لأبي السمال في سورة يوسف أنه قرأ: "حاشا" بالتنوين[٣]، فأبو السمال هذا صاحب اختيار شاذ في القراءة، ذكر ذلك عنه ابن الجزري في كتابه "غاية النهاية في طبقات القراء"[٤]، ومن هذا القسم أيضا ما ذكره أبو السعود من قراءة ابن أبي عبلة في سورة النساء "من طاب"، فقراءة ابن أبي عبلة في إسنادها إليه نظر، كما ذكر ذلك ابن الجزري في كتابه "غاية النهاية في طبقات القراء".[٥]

ومن القسم الذي نقله ثقة، ولا وجه له في العربية، ذكر أبو السعود قراءة "معائش" بالهمز في سورتي الأعراف[٦]، والحجر[٧]، فقراءة الهمز لا وجه لها في العربية، وممن ذكر ذلك ابن سيده في كتابه المخصص إذ قال: "...ونظير غلطهم في همز مصايب غلطُ من قرأ معائش بالهمز، لأن الياء فيها عين فلا تهمز...".[٨]

وأما ما وافق العربية، والرسم، ولم ينقل عن أحد، وليس له سند، فقد ذكر أبو السعود من هذا القسم قراءة "وكلَّم اللهَ موسى"، على أن المتكلم هو موسى، وهذه القراءة من تحريفات أهل البدع، وليس لها سند.

١تفسير أبي السعود ٢٣٥/١، ورواها مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، رقم الحديث: (١٤٦٠).

٢تفسير أبي السعود ٢٣٨/٥، ورواها البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم الحديث: (٣٤٠١).

٣تفسير أبي السعود ٢٧٢/٤.

٤ غاية النهاية ٢٧/٢.

٥غاية النهاية ١٩/١.

٦ تفسير أبي السعود ٢١٤/٣.

٧ تفسير أبي السعود ٧١/٥.

٨المخصص ٢٠٩/٤.

المبحث الثاني: مصادره في إيراد القراءات وتوجيهها.

لقد أخذت القراءات في تفسير أبي السعود جانبا كبيرا، واهتماما واضحا من مؤلفه، فقد احتوى تفسيره على القراءات بأنواعها، ولا بد أن يكون له مصادره في إيرادها، ولا تخرج المصادر التي يعتمد عليها المفسرون –غالبا– في إيرادهم القراءات في تفاسيرهم عن ثلاثة مصادر: الرواية، والكتب المؤلفة في القراءات، والكتب المؤلفة في التفسير، وسأذكر بإذن الله في هذا المبحث ما اعتمد عليه أبو السعود من هذه المصادر في إيراده القراءات في تفسيره، ثم أُعقب ذلك بمصادره في توجيهها، فأقول وبالله التوفيق:

فأما الرواية فلم يذكر أبو السعود أنه اعتمد في ذكره للقراءات على التلقي، ولم أجد له في تفسيره قولا يوحي بأنه تلقى القراءات، كقوله : "قرأت"، وغير ذلك من الألفاظ التي تدل على التلقي والمشافهة، وكذلك لم أجد عند من ترجم له –مما وقفت عليه– في كتب التراجم، أنه تلقى علم القراءات، وعلى هذا فلم يكن من مصادره الرواية.

وأما الكتب المؤلفة في القراءات فكذلك لم أجده قد صرح بأنها من مصادره، وقد بحثت كثيرا من خلال التفسير لعلي أظفر بشيء يدل على اعتماده في إيراده القراءات على الكتب المؤلفة في القراءات، ولكني لم أجد شيئا من ذلك، فالله أعلم.

وأما الكتب المؤلفة في التفسير، فقد كان اعتماده كثيرا على كتابين في التفسير، وهما تفسير الكشاف للزمخشري، وأنوار التنزيل للبيضاوي، فقد ذكر في مقدمة تفسيره، أن عمله في تفسيره معتمد عليهما، ولذلك كثيرا ما ينقل القراءات التي يذكرها الزمخشري والبيضاوي في كتابيهما، وسيأتي في الفصل الثاني من هذا البحث ذكر كثير من الأمثلة على ذلك.

وأما ما اعتمد عليه أبو السعود في توجيهه للقراءات التي أوردها في تفسيره، فقد كانت مصادره ثلاثة: بعض كتب توجيه القراءات، وبعض الكتب المؤلفة في التفسير، وبعض كتب علماء اللغة.

فأما كتب توجيه القراءات فلم أجده صرح باسم كتاب منها، وإنما وجدت له عددا قليلا من المنقولات، قد تكون دالة على اعتماده عليها في القراءات، ومن ذلك ما نقله

من اختيار للإمام مكي بن أبي طالب[١]، عند التعرض للقراءات الواردة في قول الله عز وجل: ﴿يَهِدِّيٓ﴾ [يونس: ٣٥].

وكذلك ما نقله عن ابن جني في توجيهه لقراءة شاذة: "بدم كدب" بالدال[٢]، فقد نقل كلامه بنصه في توجيه القراءة من كتابه المحتسب، ولم يصرح أبو السعود باسم الكتاب.

وكذلك نقل كلامه في موضع آخر عند ذكر القراءات الواردة في قول الله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦] ، فعند ذكره للقراءة الشاذة "الكُذُبَ"، والتي هي صفة لألسنة المخاطبين في الآية، ذكر توجيه ابن جني لهذه القراءة.[٣]

وأما ما يتعلق بالكتب المؤلفة في التفسير فقد استفاد كثيرا مما في تفسير الكشاف للزمخشري، ومن ذلك ما نقله أبو السعود من توجيه لقراءة شاذة في قوله تعالى: ﴿أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾ [البقرة: ١٢٦]، بإدغام الضاد في الطاء، بل إنه نقل حكم الزمخشري أيضا عليها بنصه، بأنها لغة مرذولة.[٤]

وكذلك استفاد كثيرا من تفسير البيضاوي، ومن ذلك ما ذكره أبو السعود من توجيه لقراءة الجمهور: ﴿ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ [ب‍التوبة: ٩٠]، فقد نقله بنصه.[٥]

وكذلك استفاد من تفسير البحر المحيط لأبي حيان، فقد نقل اختياره[٦] في توجيه بعض القراءات في قول الله تعالى: ﴿يَهِدِّيٓ﴾ [يونس: ٣٥].

وأما ما يتعلق بكتب علماء اللغة التي اهتمت بتوجيه بعض القراءات، فقد استفاد كثيرا من علماء اللغة، وعلى رأسهم الفراء، ومن أمثلة ذلك ما ذكره من توجيه له عند التعرض للقراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿سُقُفًا﴾[الزخرف: ٣٣]، فقد ذكر توجيهه ونسبه إليه.[٧]

١الكشف ٥١٩/١، تفسير أبي السعود ١٤٤/٤.

٢المحتسب ٣٣٤/١، تفسير أبي السعود ٢٦٠/٤.

٣المحتسب ١٢/٢، تفسير أبي السعود ١٤٧/٥.

٤الكشاف ١٨٦/١، تفسير أبي السعود ١٥٩/١.

٥تفسير البيضاوي ١٦٥/٣، تفسير أبي السعود ٩٢/٤.

٦ البحر المحيط ٥٥/٦، تفسير أبي السعود ١٤٤/٤.

٧ معاني القرآن ٣٢/٣، تفسير أبي السعود ٤٦/٨.

وممن استفاد منه أيضا الزجاج، فقد نقل بعض أقواله في توجيه بعض القراءات، ومن ذلك ما ذكره أبو السعود عند تعرضه للقراءات الواردة في قول الله عز وجل: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[آل عمران: ٣٩]، فقد ذكر توجيهه لقراءة التذكير، ونسبه إليه.[١]

المبحث الثالث: نسبته القراءات إلى من قرأ بها.

لم يكن أبو السعود في تفسيره على منهج واحد في نسبته القراءات إلى من قرأ بها، فتارة ينسبها، وتارات أخرى لا ينسبها، وهو الأكثر والأصل، فكثيرا ما يعبر بالفعل المبني لما لم يسم فاعله: "قرئ"، وقد تجاوز عدد المواضع التي استعمل فيها هذا الفعل ألفا وستمائة موضعا.

وأما القراءات التي نسبها إلى من قرأ بها؛ فقد تنوعت طريقته فيها، وبيان ذلك أجعله في النقاط التالية:

- نسب أبو السعود قراءة من القراءات –في موضع واحد من تفسيره– إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه القراءة هي في سورة الإسراء عند قول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الإسراء: ١٠١]، ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الفعل ﴿ فَسْـَٔلْ ﴾ بصيغة الماضي، ولم أجد هذه القراءة منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا عند الزمخشري في كشافه، والسمين الحلبي في دُرِّه، وقـيَّداها بأنها بالألف مكان الهمزة، والصحيح أنها منسوبة إلى عكرمة مولى ابن عباس، فقد روى ذلك ابن أبي داود في كتابه المصاحف بسند صحيح إلى عكرمة ورجاله كلهم ثقات.[٢]
- نسب كثيرا من القراءات إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها ما هو في قسم المتواتر في اصطلاح القراء، ومنها ما هو في قسم الشاذ عندهم، فمن أمثلة ما هو في قسم المتواتر ما نسبه إلى علي بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهم من قراءة في قول الله تعالى: ﴿ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ ﴾ [المائدة: ١٠٧]، ذكر أنهم يقرؤون بالبناء للفاعل في الفعل[٣]، ومن الأمثلة أيضا ما ذكره عن علي وابن عباس وعائشة ومعاذ رضي الله عنهم

١معاني القرآن وإعرابه ٤٠٥/١، تفسير أبي السعود ٣٢/٢.

٢المصاحف ٢٦٠/١.

٣تفسير أبي السعود ٩١/٣.

أنهم يقرؤون قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: ١١٢]، بالقراءة الأخرى المتواترة :﴿ هَلْ تَستَطِيعُ رَبَّكَ﴾ [المائدة: ١١٢].[١]

ومن أمثلة ما نسبه إليهم مما هو في قسم الشاذ في اصطلاح القراء ما نسبه إلى ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ: "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما"[٢]، وهي قراءة شاذة لمخالفتها الرسم العثماني، وهي صحيحة النسبة إلى ابن مسعود رضي الله عنه، فقد روى الطبري في تفسيره بسند صحيح، عن عطاء أنها في مصحف ابن مسعود: "فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما".

- نسب كثيرا من القراءات إلى القراء السبعة، وكانت نسبته صحيحة في الغالب، إلا أنه في بعض المواضع لم تكن النسبة صحيحة.

فمن أمثلة ما نسبه نسبة صحيحة قراءة عاصم الكوفي بالهمز[٣]، في قول الله عز وجل: ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ [الكهف: ٩٤]، وغيرها كثير.

ومن أمثلة ما نسبه نسبة غير صحيحة، ما نسبه إلى ابن عامر الدمشقي أنه يقرأ كلمة: ﴿مَعَيِشَ﴾ [الأعراف: ١٠]، بالهمز هكذا "معائش"، وهذه النسبة غير صحيحة، بل إن القراء السبعة يقرؤونها بالإجماع بدون همزة، وقد تبِعَ أبو السعود في هذه النِّسبةِ الزمخشريَّ .[٤]

وكذلك مما نسبه إلى القراء السبعة، ما نسبه إلى بعضهم، ولم يستوف كل من قرأ تلك القراءة التي نسبها، فمن ذلك قوله: "وقرأ أهلُ الحرمَيْن المحترمَيْن ﴿مَلِكِ﴾ [الفاتحة: ٣][٥]"، وقوله أن أهل الحرمين، وهما نافع وابن كثير يقرآنها على الوجه الذي ذكره صحيح، ولكنه ترك ثلاثة من القراء السبعة يقرؤون مثل قراءتهم، وهم أبو عمرو وابن عامر وحمزة رحمهم الله.[٦]

- وأما ما يتعلق بالقراءات الثلاث الزائدة على القراءات السبع، فقد نسب بعض القراءات إلى أبي جعفر، ويعقوب، وهي قليلة جدا، فلم ينسب إلى أبي جعفر إلا قراءتين في موضعين، الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾

١تفسير أبي السعود ٩٧/٣.

٢ تفسير أبي السعود ١٨١/١.

٣ تفسير أبي السعود ٢٤٥/٥.

٤الكشاف ٨٩/٢.

٥ تفسير أبي السعود ١٥/١.

٦ السبعة ١٠٤/١.

[البقرة: ١٢٤]، ذكر أن أبا جعفر يقرأ بفتح الذال[١]، وهذه النسبة غير صحيحة، فالذي تواتر عن أبي جعفر أنه يقرؤها كبقية القراء بضم الذال.

والموضع الثاني عند قول الله عز وجل: ﴿لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا﴾[الجاثية: ١٤]، ذكر أن أبا جعفر يقرأ ببناء الفعل لما لم يسم فاعله[٢]، وهذه النسبة صحيحة.

وأما يعقوب فلم ينسب له إلا في خمسة مواضع، وكلها صحيحة النسبة.[٣]

وأما ما يتعلق بالقارئ العاشر خلف، فإن أبا السعود لم ينسب له أي قراءة، ولعله لم يذكره لأنه لم ينفرد بأي قراءة، والله أعلم.

- أما القراءات الأربع الزائدة على القراءات العشر، فلم ينسب منها إلا إلى الحسن والأعمش، فالحسن نسب له أبو السعود أربع قراءات[٤]، كلها صحيحة النسبة، إلا موضع الحجر عند قول الله عز وجل: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ الحجر: ٤٦، ذكر أنه يقرؤها هكذا "أُدخِلوها"، ولم أجدها في كتب القراءات الشاذة منسوبة له، فالله أعلم.

وأما الأعمش فلم ينسب له أبو السعود إلا في موضعين، فالموضع الأول في سورة يوسف عند قول الله عز وجل: ﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾[يوسف: ٣١]، ذكر أن الأعمش يقرأ بحذف الألف الأولى[٥]، ولم أجد هذه القراءة صحيحة النسبة[٦]، وإنما ذكرها أبو السعود تقليدا للزمخشري في تفسيره.[٧]

والموضع الثاني في سورة الفتح عند قول الله عز وجل :﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأۡخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ١٩] ذكر أن الأعمش يقرأ بالخطاب في الفعل[٨]، وهي نسبة صحيحة.

- نسب بعض القراءات إلى بعض مردودي الرواية، كأبي السمال، وابن أبي عبلة، وقد سبق ذكر الأمثلة لقراءتيهما، وسبب رد روايتيهما في المبحث الأول من هذا الفصل.

---

١ تفسير أبي السعود ١٥٦/١.

٢تفسير أبي السعود ١٧٩/٦.

٣تفسير أبي السعود ١٩٧/٤، ٢١٢/٤، ٢٥١/٤، ٢٧٣/٤، ٢/٦.

٤تفسير أبي السعود ٢٢٥/٤، ٢٨١/٤، ٨٠/٥، ١٣٢/٧.

٥ تفسير أبي السعود ٢٧٢/٤.

٦المبهج ١٠٧/ب.

٧الكشاف ٤٦٥/٢.

٨ تفسير أبي السعود ١١٠/٨.

الفصل الثاني

موقف أبي السعود من القراءات الواردة في كتابه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقفه من القراءات المتواترة الواردة في كتابه.

المبحث الثاني: موقفه من القراءات الشاذة الواردة في كتابه.

المبحث الثالث: موقفه من رسم الكلمات القرآنية.

المبحث الأول: موقفه من القراءات المتواترة الواردة في كتابه.

لقد كان لأبي السعود مواقف متنوعة من القراءات المتواترة التي ضمنها تفسيره، وقد ذكرت شيئا من ذلك في الفصل السابق، وسأذكر بعون الله في هذا المبحث مواقف أخرى له من حيثيات متعددة، مع التمثيل لكل منها، وسأجعلها في النقاط التالية:

- سلك أبو السعود مسلك التفضيل بين بعض القراءات المتواترة، كما هو الشأن نفسه عند الزمخشري في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك، ما ذكره من القراءات عند قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨]، عندما ذكر قراءة البناء للفاعل قال: "وهي الأليق بالمقام"[١]، وهذا الأسلوب يسلكه كثيرا، بألفاظ مختلفة فتارة يقول: "وهو الأليق بسياق النظم الكريم وسباقه"[٢]، وتارة أخرى يقول: "ورفعها أنسب بحق المعنى"[٣]، وغيرها من الألفاظ التي تدل على المفاضلة بين القراءات، وهذا المسلك الذي سلكه قد استنكره كثير من أهل العلم[٤]، وقالوا بأنه لا ينبغي التفضيل بين كلام الله عز وجل، فإن كلامه عز وجل قد بلغ الغاية في الكمال، وكل قراءة من القراءات المتواترة هي في أعلى درجات البلاغة في سياقها، وهذا القول هو الذي تطمئن إليه النفس، والله أعلم.
- يسلك أحيانا مسلك التفضيل بين قراءة متواترة وقراءة شاذة، ومن ذلك ما ذكره عند قول الله تعالى: ﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴾[الصافات: ٥٢[، أنها قرئت بتشديد الصاد، والأول –أي المتواتر– هو الأوفق[٥]، وهذا المسلك فيه نظر، والذي حمله عليه أنه على طريقة أهل اللغة في المفاضلة بين القراءات

---

١ تفسير أبي السعود ٧٧/١.

٢تفسير أبي السعود ١٠٢/٣.

٣ تفسير أبي السعود ١٢٠/٣.

٤ ممن استنكر هذا المسلك أبو جعفر النحاس في كتابه "إعراب القرآن" ٦٢/٥، وأبو شامة في كتابه "إبراز المعاني" ٧٠/١.

٥ تفسير أبي السعود ١٩٢/٧.

بحسب قواعد اللغة، دون النظر في تواترها وشذوذها، ويُثبت هذا تلحينه لبعض القراءات المتواترة، كما سيأتي.

- استفاد أبو السعود من بعض القراءات المتواترة في ترجيح معنى من المعاني، ومن ذلك ما قرره في بيانه لمعنى قول الله عز وجل:﴿فَأَزَلَّهُمَا ﴾[البقرة:٣٦]، ذكر أنه يأتي بمعنى: أذهبهما وأبعدهما، وقرر أن القراءة الثانية في الآية: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ﴾، تعضد هذا المعنى، وهذا المسلك حسن في العموم، إذ لا بد للمفسر أن يوظِّف القراءات لتقرير المعاني وبيانها، إلا أنه في هذا الموضع لو جعل لكل قراءة معنى لكان أولى.
- استفاد أبو السعود من بعض القراءات التي لها أثر في الأحكام الفقهية، ومن ذلك قراءة ﴿يَطَّهَّرْنَ ﴾[البقرة:٢٢٢] بالتشديد، فقد استنبط منها أنه لا يجوز أن تُقرب الحائض حتى ينقطع الدم عنها وتغتسل.[١]
- تنوعت مواقف أبي السعود من القراءات التي ردَّها بعض علماء اللغة، وكان موقفه في الغالب ذكر القراءة وتوجيهها، ولا يتعرّض لها بشيء من كلام أهل اللغة، فمن ذلك قراءة حمزة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ١] بالخفض[٢]، ومن ذلك أيضا قراءة ابن عامر في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧].[٣]

وله موقف آخر سلك فيه مسلك بعض علماء اللغة من الطعن فيها وتضعيفها، ومن أمثلة ذلك قراءة أبي عمرو بإدغام الراء في اللام في قوله تعالى:﴿فَيَغْفِرُ لِمَن ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ، فقد لحَّنها أبو السعود، ولم يذكر سبب تلحينه لها[٤]، وهو في صنيعه هذا متأثر بالزمخشري، فقد لحنها الزمخشري في تفسيره[٥]، والذي دفع الزمخشري ومن تأثر به إلى سلوكه؛ هو ظنهم أن القواعد التي قعدها النحاة حاكمة على القراءات، وهذا باطل، وذلك لأن القراءة إذا ثبتت

١ تفسير أبي السعود ٢٢٢/١.
٢تفسير أبي السعود ١٣٩/٢.
٣ تفسير أبي السعود ١٩٠/٣.
٤ تفسير أبي السعود ٢٧٣/١.
٥ الكشاف ٣٣٠/١.

تقعّد عليها اللغة، وبها تضبط قواعد النحو، ويجب قبولها والمصير إليها، ولا ترد بقياس عربية ولا فشو لغة.[١]

فقد كان الواجب على أبي السعود ألا يتابع الزمخشري في زلته، فالزمخشري معروف برده لبعض القراءات المتواترة، بل وتطاوله على الأئمة، الذين نقلوا القرآن إلينا، جزاهم الله عنا خيرا.

ومن الأمثلة أيضا على سلوكه هذا المسلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة: ١٢]، فذكر أن كلمة ﴿أَئِمَّةَ﴾ ژ قرئت بالياء الخالصة، وأنها لحن ظاهر عند الفراء[٢]، مع أنها قراءة متواترة، فنقله لرأي الفراء وسكوته عنه دالٌ على سلوكه مسلكه.

- يذكر أحيانا بعض القراءات المختلفة اختلاف لغات، ويوجهها بأن الخلاف فيها من قبيل اللغات، مع ترك نسبة هذه اللغات إلى أهلها، ومن ذلك: ﴿بِمَلۡكِنَا﴾[طه: ٨٧]، ومن ذلك أيضا: ﴿جِبِلّٗا﴾ [يس: ٦٢]، فقد ذكر القراءات الواردة فيهما ووجههما بأن الخلاف فيهما من قبيل اللغات، ولم ينسب أي لغة منها.[٣]

وفي مواضع أخرى عند التعرض لمثل هذا النوع من القراءات –أعني المختلفة اختلاف لغات– يوجهها وينسب كل لغة إلى أهلها، ومن ذلك القراءتان المتواترتان في قوله تعالى: ﴿فَيُسۡحِتَكُم﴾[طه: ٦١]، ذكر أن القراءتين لغتان فيها، فالإسحات لغة بني تميم ونجد، والسحت لغة أهل الحجاز .[٤]

- يعمد أحيانا إلى بعض القراءات المتواترة المختلفة اختلاف لغات، ويحكم عليها بالضعف، ومن ذلك قراءة نافع في كلمة: ﴿عَسَيۡتُمۡ﴾[البقرة: ٢٤٦] بكسر السين، فقد حكم عليها بالضعف[٥]، وقد سبق التنبيه على خطورة هذا المسلك.
- سلك مسلك الاستدلال بالأثر في الترجيح بين قراءتين مختلفتين اختلاف لغات، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ [الروم: ٥٤]، فقد رجح أن قراءة الضم هي الأقوى مستدلا بأثر عطية العوفي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه بضم الضاد، ومسلكه هذا مسلك خاطئ، إذ إن القراءتين قد ثبتتا

١ جامع البيان ٨٦٠/٢، النشر ٢٠/١.
٢ تفسير أبي السعود ٤٨/٤.
٣ تفسير أبي السعود ٣٥/٦، ١٧٦/٧.
٤ تفسير أبي السعود ٢٥/٦.
٥تفسير أبي السعود ٢٣٩/١.

تواترا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فليس له أن يقوي قراءة منهما على الأخرى، فضلا عن كون الحديث الذي استدل به ضعيفا.[1]

- اهتم أبو السعود كثيرا بالقراءات التي لها دلالات بلاغية، ويأتي لها بمعان بديعة، ومن ذلك ما ذكره عند قول الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ ﴾ البقرة: ١٧٧] من الأوجه البلاغية على القراءتين[2]، ومن ذلك أيضا ما ذكره عند قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [المائدة: ١١٩] من الأوجه البلاغية على القراءتين[3]، وهذا الجانب هو أكثر جانب تميز فيه أبو السعود في تفسيره، بل إنه يبدع في بيان الأوجه البلاغية في كثير من القراءات، ولا يقتصر على وجه واحد من أوجه البلاغة في الآية، بل يسعى إلى ذكر ما يفتح الله له من دلائل الإعجاز في كتاب الله، وقد كان هذا هدفا رئيسا من أهدافه عند تأليف هذا التفسير، كما أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه.
- يأتي أحيانا لبعض القراءات التي لها دلالات بلاغية، ويحكم على واحدة منها بأنها أبلغ من أختها، دون أن يبين وجه التفضيل ومن أمثلة ذلك ما قرره عند قول الله تعالى: ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٩[، من أن القراءة بحذف الألف أبلغ[4]، جريا منه على طريقته في التفضيل بين القراءات، وقد سبق التنبيه أن هذه الطريقة غير مرضية عند كثير من العلماء.

المبحث الثاني: موقفه من القراءات الشاذة الواردة في كتابه.

قد سبق في الفصل الماضي بيان القراءات التي أوردها أبو السعود في كتابه، وأنه ضمن كتابه القراءات المتواترة، والشاذة، وقد ذكرت في المبحث السابق موقفه من القراءات المتواترة، وفي هذا المبحث سيكون الكلام بإذن الله عن موقفه من القراءات الشاذة ومنهجيته في التعامل معها، وسأجعل ذلك في النقاط التالية:

- اهتم أبو السعود اهتماما كبيرا بتوجيه القراءات الشاذة في مواضع كثيرة في تفسيره، ومن ذلك القراءة الشاذة في قول الله تعالى: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]، عندما ذكر قراءة الرفع وجهها بعدة أوجه.[5]

١الحديث ضعيف لضعف عطية العوفي، انظر الجرح والتعديل ٣٨٣/٦، وانظر تعليق الشيخ شعيب الأرناؤوط على مسند الإمام أحمد، في باب مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ٥٨/٢.

٢تفسير أبي السعود ١٩٣/١.

٣ تفسير أبي السعود ١٠٢/٣.

٤تفسير أبي السعود ٢٥٩/٦.

٥تفسير أبي السعود ١٤٣/٣.

ومن مواقفه أيضا من حيث التوجيه أنه يحتج لها أحيانا بكلام العرب في بعض المواضع، ومن ذلك ما ذكره من قراءة شاذة عند قول الله عز وجل: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٣] ذكر أن كلمة ﴿لَكَبِيرَةً﴾ قرئت: بالرفع على أنَّ كان زائدة[١]، واستشهد لها بقول أحد الشعراء: "وإخوان لنا كانوا كرام".[٢]

- عندما يتعرض لمعاني بعض الآيات، فإنه يأتي في كثير من المواضع بقراءة شاذة تؤيد المعنى الذي قرره، وأمثلة هذا كثيرة جدا، ومن ذلك ما ذكره[٣] في قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وأيضا[٤] قوله تعالى: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[البقرة: ٢٦٥].
- استفاد من بعض القراءات التي لها دلالات عقدية في تقرير بعض العقائد، ومن ذلك القراءة الشاذة: "وهو ربُّ العرشِ الكريمُ" ذكر أن قراءة " الكريمُ" بالرفع صفة لله عز وجل[٥]، ومن ذلك أيضا ذكر القراءة الشاذة "وإنه لعَلَمٌ للساعة" وأن فيها دلالة على أن نزول عيسى عليه السلام سيكون علامة من علامات يوم القيامة.[٦]
- أغفل بعض القراءات الشاذة التي لها دلالات عقدية، ومن ذلك قراءة ابن محيصن في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾[الذاريات: ٢٢]، قرأها "وفي السماء رازقكم"[٧]، ففيها الدلالة على أن الله عزَّ وجلَّ في السماء، ولكن أبا السعود أغفلها ولم يذكرها.
- استفاد أبو السعود من بعض القراءات الشاذة التي لها أثر فقهي، في تقوية بعض الأقوال في بعض المسائل، ومن ذلك حكم السعي بين الصفا والمروة، وذكر أن من الأقوال القول بأنه تطوّع لا واجب، وأن هذا القول تؤيده قراءة

١تفسير أبي السعود ١/١٧٣.

٢ لم أجده بهذا اللفظ، وإنَّمَا بلفظ: وجِيرَانٍ لَنَا كانُوا كِرَامٍ، وهو من شواهِدِ كانَ الزَّائِدةِ، استشهدَ بهِ الخليلُ وسيبويهِ وغيرُهمَا. ينظر: الجملُ في النحو ١/١٥٠، الكتاب ٢/١٥٣.

٣تفسير أبي السعود ١/١٧٦.

٤ تفسير أبي السعود ١/٢٥٩.

٥تفسير أبي السعود ٦/١٥٣.

٦ تفسير أبي السعود ٨/٥٣.

٧ المبهج ١١٧/ب.

ابن مسعود: "فلا جناح عليه ألا يطوف بهما"، وبغض النظر عن الراجح في هذه المسألة، إلا أن هذا يعدُّ من مواقفه في الاستفادة من القراءة الشاذة ذات الدلالات الفقهية.

- انتقد ولحَّن بعض القراءات الشاذة من حيث اللغة، ومن ذلك ما ذكره من قراءة شاذة في قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾[التوبة: ٩٠]، ذكر أنها قرئت بتشديد العين والذال، وهو لحن لأن العين لا تدغم في التاء، وقد تبع في ذلك البيضاوي.[1]
- استعمل أبو السعود لفظ الشذوذ وأطلقه على بعض القراءات وهو قليل جدا، ومنه ما ذكره عند قول الله تعالى: : ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ﴾[النساء: ١٤٠] أن كلمة ﴿مِّثۡلُهُمۡ﴾ قرئت بالفتح، وحكم عليها بالشذوذ[2]، وأظنه يريد به هنا شذوذها عند القراء لا شذوذها عند اللغويين، وذلك لأنه لم ينتقدها من حيث اللغة، بل وجهها على وجهين، واستشهد لها بقول الله عز وجل: ﴿مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، والله أعلم.
- اهتم أبو السعود بالدلالات البلاغية لكثير من القراءات الشاذة، ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند القراءة الشاذة في قول الله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾[الفاتحة: ٢] أنها قرئت بالنصب، وذكر الوجه البلاغي لذلك[3]، ومن ذلك أيضا ما أظهره من الأوجه البلاغية في قراءة ﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾[النساء: ١٤٣] على صيغ اسم الفاعل، فقد أجاد وأفاد[4]، وغيرها كثير.

وهذا الجانب –أعني بيان الدلالات البلاغية للقراءات– هو أكثر جانب تميز فيه أبو السعود في تفسيرهِ.

هذا ما ظهر لي من الملامح العامة لمواقف أبي السعود من القراءات الواردة في تفسيره، وسيأتي في المبحث اللاحق لهذا المبحث موقفه من رسم الكلمات القرآنية، ولا يخفى ارتباط ذلك بموقفه من القراءات ارتباطا وثيقا.

١تفسير البيضاوي ١٦٥/٣.

٢ تفسير أبي السعود ٢٤٥/٢.

٣ تفسير أبي السعود ١٣/١.

٤تفسير أبي السعود ٢٤٦/٢.

المبحث الثالث: موقفه من رسم الكلمات القرآنية.

من خلال قراءتي لهذا التفسير؛ استوقفني في كثير من المواضع ما يذكره أبو السعود حول رسم بعض الكلمات القرآنية، فقد وجدت مواقف متعددة من رسم بعض الكلمات، ولقد كانت هذه المواقف سببا في عقد هذا المبحث، لارتباطه الوثيق بموقف أبي السعود من القراءات كما لا يخفى.

وبعد النظر في تلك المواضع تبين لي أنه لم يكن لأبي السعود في تلك المواضع التي وقفت عليها موقف مستقل من رسم المصاحف العثمانية وغيرها من مصاحف بعض الصحابة كابن مسعود رضي الله عنه.

لقد كان أبو السعود يذكر ما يجده في تفسيري الزمخشري والبيضاوي، دون أن يكون له موقف خاص به، ودون أن يحرر ما نقله عنهما، ولم ينسب من ذلك شيئا إليهما، وبيان هذا أجعله في النقاط التالية:

- يقرر أبو السعود في بعض المواضع معنى من المعاني، ويقويه، ويعضده بقراءة شاذة، ويحتج لها بما في مصحف بعض الصحابة رضي الله عنهم، مما هو مخالف لرسم المصاحف العثمانية، ومن أمثلة ذلك ما ذكره في سورة البقرة عند قول الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢]، ذكر أن المعنى لا تجمعوا بين لبس الباطل بالحق، وكتمانه، وذكر أن هذا المعنى يؤيده ما في مصحف ابن مسعود "وتكتمون"[(١)]، وقد تبع في ذلك البيضاوي[(٢)]، بل نقل كلامه بنصه، ولم يكن له تعليق على هذه القراءة من حيث الشذوذ، وأنها مخالفة لرسم المصاحف العثمانية.
- ذكر في بعض المواضع رسم بعض الكلمات القرآنية، وينسبها إلى بعض المصاحف، ثم ينقدها ويخطئها،وعند الرجوع إلى الكتب التي ذكرت رسم المصاحف، أجد أن هذه الكلمات قد رسمت على غير ما ذكر أبو السعود، ومن أمثلة ذلك، عند قول الله عز وجل:﴿ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٣٧]، ذكر أن ﴿أَيْنَ مَا ﴾ في هذه الآية كتبت في خط المصحف موصولة، وقد كان حقها الفصل لأن "ما" موصولة[(٣)]، وما ذكره أبو السعود من

١ تفسير أبي السعود ٩٦/١.

٢ تفسير البيضاوي ٣١٣/١.

٣ تفسير أبي السعود ٢٢٦/٣.

أنها كتبت موصولة غير صحيح، فقد اتفقت المصاحف على كتابتها مفصولة في هذا الموضع[١]، ولكنه تبع في ذلك البيضاوي [٢]دون أن يتثبت من قوله، والله أعلم.

ومن الأمثلة أيضا ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾[ص: ٣]، أن التاء في المصحف الإمام متصلة بكلمة "حين"، وأن هذا لا وجه له في الرسم[٣]، وما ذكره هنا من أنها متصلة في الإمام ليس بصحيح، فقد رسمت مفصولة إجماعا، وما ذُكر عن أبي عبيد من أنها متصلة قد رده علماء الرسم كأبي عمرو الداني في مقنعه، والذي جعل أبا السعود يقع في هذا الخطأ هو تقليده للزمخشري والبيضاوي[٤]، دون أن يتثبت من قولهما.

- عند قول الله عز وجل: ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[يوسف: ٣٢] ذكر أن في كلمة "ليكونا" قراءتين، قراءة بنون التوكيد الخفيفة، وقراءة بنون التوكيد الثقيلة، ثم رجح القراءة بنون التوكيد الخفيفة محتجا بأنها رسمت بالألف[٥]، ولم ينبه أبو السعود أن القراءة بنون التوكيد الخفيفة متواترة وقد أجمع القراء عليها، والقراءة الثانية شاذة لا تجعل في مقابل القراءة المتواترة، فضلا عن كون الترجيح بين القراءات المتواترة مسلك غير مرضي عند كثير من العلماء، كما سبق بيانه، فكيف إذا كان الترجيح بين قراءة متواترة وشاذة.

وقد تبع أيضا في هذا الموضع الزمخشري في كشافه، ولم يعلق عليه بشيء.

- عند قول الله عز وجل: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ ءَالِ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]، ذكر أبو السعود أن قراءة الإضافة بسبب كونهما مفصولين في المصحف[٦]، وقد تبع في ذلك البيضاوي[٧]، بل نقل كلامه بنصه، والمسلك الصحيح في هذا والله أعلم أن الرسم يعلل بالقراءة، والقراءة لا تعلل بالرسم، وإنما علتها الرواية، فالرواية متقدمة على الرسم.

---

١ انظر: المقنع ٧٧/١، مختصر التبيين ٢٠٠/٢.

٢ تفسير البيضاوي ١٩/٣.

٣ تفسير أبي السعود ٢١٤/٧.

٤ ينظر: الكشاف ٧٢/٤، تفسير البيضاوي ٣٦/٥.

٥ تفسير أبي السعود ٢٧٣/٤.

٦ تفسير أبي السعود ٢٠٤/٧.

٧ تفسير البيضاوي ٢٦/٥.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث يمكن استظهار جملة من النتائج المهمة، أبرزها:

- يعدُّ تفسير أبي السعود متميزا في بيان الوجوه البلاغية للقراءات، وعليه فيستفاد من هذا التفسير في إظهار وجوه الإعجاز البلاغي للقراءات.
- مما تميز به أبو السعود توجيهه للقراءات المتواترة والشاذة، فقد كان تميزه ظاهرا ملموسا في هذا الجانب، وعليه فالوصية قائمة في الاستفادة من هذا التفسير في هذا الجانب.
- كان أبو السعود في طريقة عرضه وإيراده للقراءات في تفسيره على طريقة علماء اللغة، من حيث إن القراءات تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء.
- تأثر أبو السعود بمذهب بعض علماء اللغة، وذلك في طعنه لبعض القراءات المتواترة، وقد كان أكثر تأثره بالزمخشري، إلا أنه ليس بالحدة التي عُرف بها الزمخشري مع الأئمة القراء.
- حاجة المفسر البالغة إلى معرفة القواعد التي قعَّدها علماء القراءات التي لا بد من معرفتها عند التعامل مع القراءات، حتى يسلم مما وقع فيه كثير من المفسرين في تفاسيرهم.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر:

- الإبانة عن معاني القراءات، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني المالكي، (ت: ٤٣٧)، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- تفسير أبي السعود: طريقته في العمل بالرواية، ومنهجه في توظيف القراءات القرآنية:للدكتور العربي شاوش، بحث نشر بمجلة دار الحديث الحسنية بالمغرب، العدد الخامس عشر، عام ١٤١٩هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم:لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، (ت: ٩٨٢)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط(٤)، ١٤١٤هـ.
- الأعلام:لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط (١٥)، ١٤٢٢هـ.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون:لإسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني، عني بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا، والمعلم: رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- البحر المحيط :لأبي حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف أثير الدين الأندلسي، (ت: ٧٤٥)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١٤٢٠.
- تفسير البيضاوي:لأبي سعيد، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، (ت: ٦٨٥)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت، ط (١)، ١٤١٨.
- التفسير والمفسرون:لمحمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، مصر، ط(٢)، ١٣٩٦هـ.
- الجرح والتعديل:لأبي محمد، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، (ت: ٣٢٧ هـ)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر أباد الدكن، الهند، ط (١)، ١٢٧١ هـ.
- الجمل في النحو:لأبي عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت: ١٧٠ هـ.)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط (٥)، ١٤١٦ هـ.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر:لمحمد أمين بن فضل الله الحموي الدمشقي، (ت: ١١١١ هـ)، دار صادر، بيروت.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:لأبي العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط(١)، ١٤١١هـ.

- السبعة في القراءات:لأبي بكر أحمد بن موسى التميمي البغدادي، ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط (٢)، ١٤٠٠ هـ.
- صحيح البخاري:لمحمد بن إسماعيل البخاري، (ت: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: الناصر محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط (١)، ١٤٢٢ هـ.
- صحيح مسلم:لمسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت: ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية:لتقي الدين بن عبد القادر التميمي، (ت: ١٠١٠ هـ)، المكتبة الشاملة، النسخة المكية، الإصدار الثالث.
- العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم: لعلي بن لالي بالي بن محمد، (ت: ٩٩٢ هـ)، طبع بذيل الشقائق النعمانية، لطاش، كبري زاده، (ت: ٩٦٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٥ هـ.
- غاية النهاية في طبقات القراء :لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ت: ٨٣٣)، عني بنشره لأول مرة برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، ط (١)، ١٣٥١.
- الكتاب:الكتاب، لأبي بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، الملقب بسيبويه، (ت: ١٨٠)، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط (٣)، ١٤٠٨.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (ت: ٥٣٨)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١٤٠٧.
- كشف الظنون: لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة، (ت: ١٠٦٧ هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.
- المبهج في القراءات الثمان:لعبدالله بن علي سبط الخياط (ت:٥٤١ هـ)، مخطوط بخط حسن الحاج بن مصطفى سنة ١١٩٤هـ، محفوظة بجامعة الملك سعود برقم: (٢٧٩٩).
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها:لأبي الفتح، عثمان بن جني الموصلي، (ت: ٣٩٢)، وزارة الأوقاف الكويتية، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط ١٤٢٠.

- مختصر التبيين لهجاء التنزيل:لأبي داود، سليمان بن نجاح بن أبي القاسم الأندلسي، (ت: ٤٩٦)، تحقيق: د. أحمد شرشال، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ط (١)، ١٤٢٣.
- المخصص:لأبي الحسن، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: ٤٥٨)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث، بيروت، ط (١)، ١٤١٧.
- المسند:لأحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، (ت: ٢٤١ هـ)، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرناؤووط، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- المصاحف:لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان السجستاني، (ت: ٣١٦ هـ)، تحقيق: محمد بن عبده، طبعة الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ط (١)، ١٤٢٣ هـ.
- معاني القرآن:لأبي زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي، الفراء، (ت: ٢٠٧)، تحقيق: أحمد النجاتي، محمد النجار، عبد الفتاح شلبي، دار المصرية، مصر، ط (١).
- معاني القرآن وإعرابه:لأبي إسحاق الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، (ت: ٣١١)، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط (١)، ١٤٠٨.
- معجم المؤلفين:لعمر رضا كحالة، (ت: ١٤٠٨ هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، ودار إحياء التراث، بيروت، ط (١)، ١٤١٤ هـ.
- المقنع في رسم مصاحف الأمصار:لأبي عمرو، عثمان بن سعيد الداني، (ت: ٤٤٤)، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين:لأبي الخير محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري، (ت: ٨٣٣)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، ط (١)، ١٤١٩.
- النشر في القراءات العشر:النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابن الجزري، (ت: ٨٣٣)، تحقيق: علي بن محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، دار الكتب العلمية.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل بن محمد أمين البابانى البغدادي، (ت: ١٣٩٩ هـ)، وكالة المارف، المطبعة البهية، استانبول، ١٩٥١م.